دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ
ISSN 1813-7733
المجلد الثالث, ديسمبر 2006م (ص15-22)

منهج الأستاذ المودودي في تفسيره "تفهيم القرآن"

د. محمد غياث الدين حافظ*

المقدمة:

مما لا مراء فيه أن أي عمل فكري لا يمكن أن يحظى بواسع القبول وشديد الإقبال عليه حتى يكون مبنياً على أسس قوية من المناهج العلمية السليمة التي يتوفر فيها العناصر الجوهرية والتي من شأنها أن يخرج ذلك العمل على شكل من التكامل والشمول لجوانبه المتعددة. ذلك أن تقييم أي نشاط علمي وإنجاز فكري إنما يتم في الدرجة الأولي عن طريق منهجه سواء في تقديم الموضوع أو معالجته أو اختيار وترتيب مواده المتنوعة ...الخ، والمناهج ما هي إلا خطة مرسومة لتحقيق عمل ما، بحيث يتوقف عليها نجاحه أو إخفاقه، وبها تتكشف دائرة أفقه وأبعاد أعماقه، ومنها ينطلق صاحبه نحو غايته، وفيها يحلق كاتبه مستعرضاً ما لديه من تراكم الخواطر وتوارد الأفكار مؤيداً إياها بترتيب المواد حسب المعيار. ولما كان للمناهج العلمية كل هذه الأهمية، كان لزاما علينا أن نغوص فيما بينته سطور تفسير الأستاذ أبي الأعلى المودودي غوصة الباحث عن مراميه، ونتجول في طرقاته العلمية جولان المتحير لضالته. لنستخرج منها المناهج العلمية التي اتخذ منها الأستاذ المودودي خطوطه العريضة التي سار عليها في وضع هذا التفسير العظيم، خاصة وأنه لم يصرح بهذه المناهج في مقدمة تفسيره بشكل تفصيلي حتى يتبين لنا حقيقة المكانة الفريدة التي يتبوأها هذا التفسير، والتي جعلته موضع العناية والقبول العام لدى الخاصة والعامة بكافة مستوياتهم، في مشارق الأرض ومغاربها.

قد لاحظنا منهج الأستاذ المودودي في "تفهيم القرآن" من خلال نظراتنا الفاحصة واستقرائنا الشامل لهذا الكتاب، يمكن أن نوجزه فيما يلي:

1- تسليط الأضواء على تسمية السور:

من المعلوم أن سور القرآن الكريم منها ماله اسم، وما له اسمان أو أكثر، وهذه الأسماء والتسميات ترجع في أصل وضعها إلى أسباب ووجوه متعددة، تتمثل إما في مضمون السور، أو في بعض الكلمات الواردة فيها، وكل هذه الأمور لها أهمية بالغة من حيث تعلقها بالمفهوم الأساسي للسور. ومن ثم نرى الأستاذ المودودي يستهل تفسير السور بتسليط الأضواء على هذه الأمور بنظرة علمية كمدخل إلى السورة أمام القارئ.

وفيما يلي بعض الأمثلة لهذه الظاهرة:

1- يقول الأستاذ المودودي في معرض الحديث عن تسمية سورة الفاتحة: إن هذا الاسم مأخوذ من موقع هذه السورة؛ حيث إنها وقعت في بداية القرآن الكريم، والفاتحة هي التي يفتح بها1.

2- ويقول عن تسمية سورة الأحزاب: إن هذا الاسم مأخوذ من قوله تعالى في الآية العشرين2، [يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا] [الأحزاب: 20].

3- وبعض السور لها أسماء كثيرة: منها سورة بني إسرائيل. ولها أسماء، ويقول عن تسمية سورة بني إسرائيل: مأخوذ من قوله تعالى في الآية الرابعة3 [وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً][بني إسرائيل: 4]. وأيضا تسمى

* الأستاذ المساعد ورئيس قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية

سورة "الإسراء" كما في الآية الأولى: [سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ] [بني إسرائيل: 1]. وخلاصة القول إن في تسمية السور يلاحظ أحياناً إلى كلمة توجد في تلك السورة أو إلى مضمونها.

2- الاهتمام بتحديد مكان وزمن النزول:

إن الظرف الذي نزل فيه القرآن زمنياً كان أو مكانياً يلعب تحديده دوراً هاما في الاكتشاف عن الآفاق الواسعة التي يستطيع القارئ من خلال التحلق فيها أن يتعرف على كثير من الأحكام والمعاني التي لا يتم فهم القرآن إلا بها. ونظرا إلى ذلك فإن الأستاذ المودودي يدلي بالغ اهتمامه واعتنائه ببيان زمن نزول السورة ومكانها من حيث كونها مكية أو مدنية.

وفي هذا الصدد يقول الأستاذ المودودي عن سورة الحجرات: "يبحث مضامين هذه السورة ثلاث واقعات هامة، الأولى غزوة الأحزاب، التي وقعت في شوال من السنة الخامسة للهجرة، والثانية: غزوة بنى قريظة، التي وقعت في ذي القعدة من نفس العام، والثالثة: حادثة زواج النبي من السيدة زينب بنت جحش – رضي الله عنها - الذي تمّ في ذي القعدة من العام المذكور أيضاً. ومن هذه الوقائع التاريخية يتحدد زمن نزول هذه السورة على وجه اليقين4.

3- التركيز على بيان سبب النزول أو الخلفية التاريخية:

تمثل الخلفية التاريخية التي ينزل فيها القرآن أنها عنصر جوهري من العناصر التي يلزم توافرها في كشف النقاب عن المعاني الأصلية التي تتضمنها الآيات وتهدف إليها، سواء قلنا: العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب، فعلى كل لا يمكن الفهم الصحيح لمعاني الآيات والوصول إلى غاياتها إلا عن طريق معرفة السبب الذي كان دافعا لنزول تلك الآيات.

ولهذا فقد يركز الأستاذ المودودي تركيزا خاصا على بيان سبب النزول أو الخلفية التاريخية قبل أن يدخل في لب التفسير.

يشير إلى هذه الحقيقة قوله: "ازدادت جرأة المشركين واليهود والمنافقين إثر الهزيمة لقيها جيش الإسلام في معركة أحد - التي وقعت في السنة الثالثة من الهجرة - نتيجة خطأ ارتكبه الرماة، الذين عينهم رسول الله على المضيق ليحموا ظهر المسلمين، ولكن الرماة ظنوا أن المسلمين فازوا، حينما رأوهم يأخذون الغنائم، فتركوا المكان ظنا منهم أنهم أدوا مهمتهم، وانتهز خالد بن الوليد - الذي لم يتشرف بقبول الإسلام بعد - فرصة انشغال المسلين بالغنيمة، فهاجم على المسلمين من المضيق فجأة، والذي أدى إلى انهزام المسلمين، و تزايد جرأتهم على الأحداث التي وقعت في العام التالي لمعركة أحد مباشرة. إذ لم يكد يمضي على أحد أكثر من شهرين حتى أعدت قبيلة بني أسيد عدتها لمهاجمة المدينة المنورة فاضطر النبي لأن يرسل سرية أبي سلمة ليمنعها من ذلك. وهكذا بعض القبائل هجمت على المسلمين فجأة على الدعاة والمبلغين مثل قبائل عضل والقارة، وقبائل بنى سليم، وقعت هذه الواقعة في السنة الرابعة، وفي هذه السنة أيضا اتخذ بنو ثعلبة وبنو محارب عدتهم للهجوم على المدينة. هذه هي الخلفية التاريخية لهذه السورة. وأنه بين الغزوات التي سبقت غزوة الأحزاب. ثم بين غزوة الأحزاب وغزوة بنى قريظة بالتفصيل. وفي النهاية وضح الأمور التي تصلح المجتمع. وقد أنكر الأستاذ المودودي بشدة تلك القصص التي قصها المنافقون والمشركون بأنه كان يعشق زينب – امرأة زيد – فأمره بتطليقها لكي يتزوجها5.

4- عرض سريع لمحاور السورة قبل البدء في تفسيرها:

من المناهج التي انتهجها الأستاذ المودودي في تفسيره أنه يعرض قبل الخوض في تفسير كل سورة الموضوعات الأساسية والنقاط الهامة التي تدور حولها معاني السورة وترمي إلى معالجتها، عرضاً سريعاً مركزاً، بحيث تكون لدى القارئ الواعي فكرة واضحة مسبقة لجوانب السورة الأساسية، ليستفيد بها في استخراج ما تحتوي السورة من الأحكام والدروس. وخير نموذج لذلك قوله في مقدمة تفسير سورة الأحزاب: "من الآيات9 إلى 20 ومن 21 إلى 27 هي تعليق على

غزوتي الأحزاب، وبني قريظة، ومن الآيات 28 إلى 35 عالجت موضوعين، الأول: تخيير الله لأزواج النبي، والثاني: هو تعليم الله تعالى عباده الخطوة الأولى لإصلاح المجتمع6.

5- اهتمام الأستاذ بالتفسير بالمأثور:

مما لا شك فيه أن أفضل أنواع التفسير وأعلاها مكانة هو التفسير بالمأثور؛ لأن التفسير بالمأثور إما أن يكون تفسيرا للقرآن بكلام الله تعالى، فهو أعلم بمراده، وإما أن يكون تفسيره بكلام الرسول – صلى الله عليه وسلم - فهو المبين لكلام الله تعالى، وإما أن يكون بأقوال الصحابة فهم الذين شاهدوا النزول، وهم أهل اللسان وتميزوا عن غيرهم بما شاهدوه من القرائن والأحوال حين النزول.

وانطلاقاً من الإدراك بهذه المكانة العظيمة للتفسير بالمأثور فقد جعله الأستاذ المودودي منهجاً أساسياً ومصدراً رئيسياً لتفسيره المتمثل فيما سماه بتفهيم القرآن.

وقد جاء التأكيد لهذا المنهج في كتابه: "الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة" يقول المودودي: "فإذا بذلتم محاولتكم لمعرفة معنى القرآن بالقرآن، فانظروا أي معنى يتقرر للآية وفسروا القرآن على ضوء أقوال وأفعال من جاء بالقرآن أي محمد، وبأي وجه فسرها أولئك الذين كانوا من أتباعه في أقرب عصر لحياته7.

وكما وضح لنا أن هذا النوع من التفسير يتناول الأمور الآتية:

1- تفسير القرآن بالقرآن
2- تفسير القرآن بالسنة

وفيما يلي بعض الأمثلة من تفهيم القرآن:

أولاً- تفسير القرآن بالقرآن: يقول الأستاذ المودودي في تفسير قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا] [الأحزاب: 45]. يرى البعض أن المراد من الشهادة في هذه الآية هو أن النبي سيكون شاهدا على أعمال أمته يوم القيامة ومن هذا يستدلون بأن النبي يشاهد أعمال أمته في الدنيا و إلا كيف يمكن له أن يقوم بالشهادة دون المشاهدة. ولكن هذا التأويل لا يؤيده القرآن الكريم لأنه يقول بأن الله تعالى قد جعل نظاما آخر للشهادة في أعمال الناس، فجعل الملائكة مسئولين عن تسجيل أعمالهم لقوله سبحانه وتعالى: [إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنْ الْيَمِينِ وَعَنْ الشِّمَالِ قَعِيدٌ. مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ] [ق: 17-18]. وكما يأتي بالشهادة من أعضاء جسمه أيضا لقوله تعالى: [الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] [يس: 65]. فقد فسر الأستاذ المودودي هذه الآية الكريمة بالآيات الواردة في المواضيع الأخرى من القرآن الكريم المتعلقة بالموضوع، ويثبت أن المراد من كون النبي شاهداً هو كون مهمته الأساسية أداء شهادة الحق بقوله وفعله8.

ويتبين من هذا النموذج أن الأستاذ المودودي من خلال تفسيره للقرآن الكريم، كان يهتم بتفسير القرآن بالقرآن، وإذا كان يفسر آية من الآيات كان يضع أمام عينيه الآيات الأخرى الواردة في الموضوع، ثم كان يفسر الآية في ضوء السياق الذي وردت فيه.

ثانياً- تفسير القرآن بالسنة: إن الأستاذ المودودي يهتم بتفسير القرآن بالحديث النبوي كاهتمامه بتفسير القرآن بالقرآن، قال الأستاذ المودودي: "فإني حاولتُ خلال تفسيري للقرآن الكريم أن أفسر القرآن بالأحاديث النبوية الصحيحة، وأبين العلاقة بين القرآن والحديث، ولا يبقى مجالٌ بعدئذ للفكرة الخاطئة القائلة بأن القرآن يمكن لنا أن نفهمه دون الرجوع إلى الحديث؛ بل يتضح للقارئ أن القرآن الكريم لا يمكن فهمه أو تفهيمه؛ إلا بالسنة النبوية الشريفة"9. وقال الأستاذ المودودي أيضا في كتابه "سنت كي آئيني حيثيت" [مكانة السنة في التشريع الإسلامي]: "إن القرآن لا يمكن فهمه فهما صحيحا؛ إلا بالرجوع إلى ما صدر عن النبي في تفسير القرآن من قول وفعل"10.

وفيما يلي بعض الأمثلة لهذه الظاهرة:

ذكر الأستاذ المودودي عند تفسيره للآية الكريمة: [إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] [الحجرات: 13]. خمسة أحاديث، أكتفي بذكر الحديثين منها:

أولاً: عن حذيفة قال: قال النبي: "كلكم بنو آدم، وآدم من تراب، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم، أو ليكون أهون على الله تعالى من الجعلان"11.

ثانياً: عن أبي هريرة τ عن النبي ε قال: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"12.

وبعد ما ذكر الأستاذ المودودي هذين الحديثين والثلاثة الأخرى قال: "لم تعد هذه التوجيهات حبراً على الورق؛ بل تمثلت فعلاً مجسَّداً في المجتمع العالمي، الذي أقامه الإسلام بموجبها، ولم يميز هذا المجتمع بين هذا وذاك على أساس اللون، أو السلالة، أو اللغة، أو الوطن، أو القومية، وكل واحد منهم كان يتمتع بنفس الحقوق، وهذا الفضل للمجتمع الإسلامي قد اعترف به حتى أعداؤنا، وهذا ما لا يوجد له أي مثيل في الماضي أو الحاضر في ديانة من الديانات، ولا في نظام من النظم الاجتماعية، وهذا ما جعل هذه الأمة أمة واحدة"13.

ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ المودودي بعد ما أورد الأحاديث الشريفة في تفسيره للآية الكريمة، بين بالبراهين الداحضة والأدلة القوية أن الإسلام لا يسمح بوجود أية قومية على أساس الوطن، أو اللغة، أو السلالة، أو اللون، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى أنه لم يفته أن يرد على الشبهات الواردة في هذا الصدد، بناء على ما ورد في الكتب الفقهية للعناية بالكفؤ في الزواج14.

ونرى أن الأستاذ المودودي يهتم بتفسير الآية الكريمة بالأحاديث النبوية الشريفة، ويبين لنا المراد الصحيح للآية الكريمة في ضوء ما قاله النبي، ثم يستنبط منها بعض المبادئ الأساسية للمجتمع الإسلامي، ويقارن بينه وبين الديانات والنظم الاجتماعية الأخرى، ويرد على الشبهات الواردة في هذا الصدد.

المثال الثاني: يفسر الأستاذ المودودي الآية الكريمة: [وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا] [الكهف: 21]. وذكر عدة أحاديث في تفسير هذه الآية، منها:

أولاً: ما روي عن جندب τ قال: سمعت النبي يقول: "ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك"15.

ثانياً: وما روي عن عائشة - رضي الله عنها - قال: قال رسول الله: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"16.
فقد رد الأستاذ المودودي خلال تفسيره للآية الكريمة على من استنبط منها جواز بناء المساجد على مقابر الأولياء، بالأحاديث السابقة وبإثبات أن سياق الآية لا يدل على جواز اتخاذ القبور مساجد.

تبين من خلال هذه النماذج أن الأستاذ المودودي كان مهتماً – خاصة في المسائل التقليدية من مسائل الفقه والعقيدة - بتفسير القرآن بالحديث النبوي، وهذا ما يتبين من رده على التأويلات الباطلة لمنكري السنة والشيعة والقاديانيين.

ونحب أن نسجل هنا بعض الملاحظات الهامة التي تكونت لدي من خلال دراستي لمنهج الأستاذ المودودي في تفسيره القرآن الكريم بالسنة النبوية الشريفة:
أولاً: عدم تعرضه لبيان درجة الأحاديث من حيث الصحة والضعف أو الوضع. وهذا في الجزء

الأول والثاني - في معظم الأحيان – بل كان يكتفي بقوله: لقوله عليه السلام كذا وكذا، ونحو كذا، وأما في الجزء الثالث إلى أخره من تفسيره، فكان يذكر المصدر في أغلب الأحيان فقد عزا إلى أبي داود وأحمد وغيرهما، ولعل السبب في هذا يرجع إلى عدم توفر هذه المصادر لديه، لكونه في حالة الاعتقال الغاشم في سجن الحكومة لأربع مرات في السجن17.

ثانياً: عدم ذكر اسم الصحابي الذي روى الحديث حينا، وذكره له حينا آخر.

ثالثاً: ذكره للآثار المنسوبة إلى أصحابها في أغلب الأحيان.

رابعاً: ذكر طرق بعض الأحاديث مختصراً.

خامسا: الاستدلال على آية واحدة بأكثر من أحاديث وآثار. والمثال على هذا أنه أورد خمسة أحاديث في تفسير قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] [المائدة: 90].

سادساً: الاستدلال بالحديث الواحد على أكثر من الآيات. [وهذا كثير].

سابعاً: التجزية من الحديث باللفظ الذي يدل على مراده، وبعبارة أخرى: الاكتفاء بإيراد الطرف الذي هو موضع الاستدلال بالنسبة له، [وهذا في أغلب الأحيان].

ثامناً: جعله للحديثين حديثاً واحداً، وللحديث الواحد حديثين أو ثلاثا.

ومثاله:1- "ويكره لكم قيل وقال"18.

2- "ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه"19. ذكر الأستاذ أبو الأعلى المودودي هذين الحديثين في تفسير قوله تعالى: [أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ] [البقرة:108].

6- الاهتمام بدراسة القصص الواردة في القرآن الكريم:

اهتم الأستاذ المودودي بصفة خاصة بالقصص الواردة في القرآن الكريم وذلك لإبراز هدف القصة وبيان حكمة تكرار القصة الواحدة أو أجزائها في مواضع مختلفة، كما أنه اهتم ببيان العلاقة بين القصة وبين مرحلة الدعوة التي نزلت فيها وتوجيه الدعاة نحو الاستفادة من القصة.

وإن الأستاذ المودودي خلال تفسيره للآيات التي وردت فيها هذه القصص يعتني بصفة عامة ببيان هذه النواحي للقصة ليفهم القارئ فهماً صحيحاً لهذه الآيات، ويهتدي به عند عمله في مجال الدعوة. وأن الهدف لهذه القصص أن يقيم الحجة على اليهود والنصارى، بأن الدعوة التي جاء بها النبي هي نفس الدعوة التي جاء بها موسى وعيسى - عليهما السلام-، وأن يخبرهم بالتحريفات التي وردت في التوراة والإنجيل، وكشف أحوالهم وفضح أمورهم.

7- الاهتمام بدراسة آيات الأحكام:

سلك الأستاذ المودودي مسلكاً معيناً في تحقيق المسائل الفقهية خلال تفسير الآيات الكريمة التي تتحدث عن الأحكام، حيث نجده يستعرض أقوال الفقهاء وآراءهم، ثم ينتهي إلى قول راجح مع إيراد أدلة الرجحان، هذا أحيانا، وأحيانا أخرى نراه ينقل أقوال الفقهاء وآراءهم دون بيان الحكم والترجيح، وذلك لكي يرجح القارئ نفسه بعضها على بعض.

وأن الأستاذ المودودي يهتم بالمقارنة في المسائل الفقهية، بالدلائل القرآنية والحديثية، ويرجح بعضها على البعض بناء على الأدلة، وليس تعصبا لمذهب خاص. وهكذا اهتم الأستاذ المودودي

أن يتجنب التعصب المذهبي في ترجيح الآراء الفقهية المختلفة ليتمكن المسلمون من توحيد كلمتهم في مواجهة التحديات والتيارات المعادية.

8- الاهتمام بالخرائط والصور للأماكن التي ورد ذكرها في القرآن الكريم:

من منهج الأستاذ المودودي في تفسير القرآن الكريم اهتمامه بالخرائط والصور للاماكن التي ورد ذكرها في القرآن، وطريقته في ذلك: أنه يشرح كلا من هذه الخرائط والصور مع بيان موقعها الجغرافي، وموجز تاريخها، مع ذكر علاقتها بالحادث الذي ورد فيه ذكره. وذلك ليتمكن القارئ من فهم الآيات التي ورد فيها ذكر هذه الأماكن فهماً صحيحاً، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لتزداد به ثقته فيها، كأنه كان فيه20.

وقد قام برحلات خاصة إلى تلك الأماكن والمشاهد. وكان من طريقته خلال رحلاته هذه: أنه كان يهتم بلقاء العلماء الخبراء - خاصة في التاريخ وجغرافيا- واستمرت هذه الرحلات العلمية من 3 نوفمبر 1959م إلى فبرائر 1960م، ومجموع الخرائط والصور التي في تفسيره يبلغ عدده "43"21.

9- الاستشهاد من كتب أهل الكتاب:

مما ثبت باستقراء الكتب السماوية السابقة من الإنجيل والتوراة وغيرهما أنها ما زالت تحتفظ في ثناياها ومضات مبعثرة من الحق الذي يتناغم مع ما جاء به الإسلام من العقيدة والتعاليم، مناقضاً لكثير مما عليه أهل تلك الكتب من المعتقدات والتقاليد الوراثية ومبطلا إياها، على الرغم من كل التحريفات والتبديلات التي أجراها أهلها على مر العصور المتعاقبة.

ومن ثم فليس هناك ما يمنع من الاستشهاد بواقع تلك الكتب على مبادئ أهلها، ما دام ذلك لا يخالف قواعد الإسلام وأصوله. ويعد الأستاذ المودودي من أولئك العباقرة القلائل الذين انفردوا بمثل هذا النوع من الاستشهاد في تفسير القرآن الكريم.

فيرى الأستاذ المودودي ضرورياً أن يبين أقوالهم وأقاصيصهم من كتب أهل الكتاب ذاتهم؛ ليكون دليلا عليهم، ولا يبقى للمنكرين سبيلاً للإنكار ولا للمشككين أساساً للشك، فيمكن لنا أن نقول إن استشهاد الأستاذ المودودي خلال تفسيره للآية عن كتب أهل الكتاب حجة قوية على بطلانهم، فضلا عن كونه تصديقا لما ورد في القرآن الكريم، ولا غرابة في طريقة الأستاذ المودودي هذه، فأهل الكتاب عندهم من الأخبار عن تاريخهم في كتبهم المقدسة، وكما أنه نقل هذه الأخبار ليتعد تصديقا لما ورد في القرآن الكريم، ودليلا على تناوله الغيب الماضي ما يثبت اعتباره.

10- الرد على التأويلات الباطلة والكشف عن زيغها في تفسير القرآن:

يتبين من التاريخ أن أصحاب الفرق الضالة القاديانية والشيعة ومنكري السنة في الماضي والحاضر قاموا بتأويل الآيات القرآنية على وجه يؤيد مذاهبهم الخاصة أو معتقداتهم الباطلة، وجاءوا بالمعاني التي لا توافق الكتاب و السنة و اللغة ولا تنسجم الروح الإسلامية الصحيحة، لأنهم لا يرجعون إلى القرآن إلا لتأييد مذاهبهم الباطلة، فلا يبحثون فيه إلا عما يعتقدون حملا للآيات القرآنية على ملائمه، وذلك لأن القرآن الكريم لا يمكن الوصول إلى معانيه الحقيقية؛ إلا إذا رجع إليه الإنسان بذهن غير متحيز. ومن ثم نرى الأستاذ المودودي قد قام في تفسيره تفهيم القرآن بالرد القاطع على تلك التأويلات الباطلة والكشف عن زيغها، قديمة كانت أو حديثة.

وهذا ما يشير إليه الأستاذ المودودي في مقدمة "تفسيره" قائلاً: "والشرط الأساسي لفهم القرآن الكريم أن يتناوله الدارس بعقل متفتح مستقل غير متحيز إليه أو عليه، وسواء كان المرء يؤمن به كتاباً منزلاً من الله أم لا، فعليه أن يحرر ذهنه بأقصى ما يمكنه، ويبعد عنه التحيز، ويتخلص من كافة الآراء التي كونها واكتسبها مسبقاً، ثم يقرأ بالرغبة المجردة في فهمه. أما الذين يدرسونه في ضوء المفاهيم الشخصية المسبقة فلن يجدوا فيه غير أفكارهم فحسب، ولهذا لا يستطيعون

الوصول إلى ما ينبغي فهمه وتبليغه من القرآن الكريم وإذا كانت طريقتهم هذه لا تنفعهم دراسة أي كتاب، فكيف تنفعهم دراسة القرآن الكريم وهو الكتاب الفريد"22.

وأما الأساليب التي امتاز بها الأستاذ المودودي في الرد على تأويلات المبطلين فهي تتمثل فيما يأتي:

1- اتبع الأسلوب الفكري والابتكاري في تفسيره للقرآن الكريم.
2- جعل التفسير وسيلة للرد على عقائد وأفكار المخالفين من أصحاب التفسير بالأسلوب المنطقي والجدلي والفقهي والاعتقادي.
3- سلك مسلك الأسلوب السياسي والثقافي والاجتماعي.

هذه أبرز الأمور في المنهج الذي سار عليه الأستاذ المودودي – رحمه الله – في تفسيره "تفهيم القرآن".

المراجع

1- تفهيم القرآن: الأستاذ المودودي، الترجمة: عبد المنان طالب، (داكا: أدونيك فركاشاني، 1996م)، ج1، ص39.
2- تفسير سورة الأحزاب: أبو الأعلى المودودي، تعريب أحمد إدريس، (القاهرة: المختار الإسلامي، د.ت.)، ص7.
3- تفهيم القرآن: الأستاذ المودودي، المرجع السابق، ج7، ص95.
4- تفهيم القرآن: الأستاذ المودودي، تعريب: أحمد إدريس، ص7.
5- تفسير سورة الأحزاب: أبو الأعلى المودودي، تعريب أحمد إدريس، (القاهرة: المختار الإسلامي، د.ت.)، ص7-22.
6- تفسير سورة الأحزاب: الأستاذ أبو الأعلى المودودي، المرجع السابق، ص22-23.
7- الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة: الأستاذ أبو الأعلى المودودي، المودودي، داكا: أدونيك فراكاشاني، ط4 ص75.
8- انظر: أبو الأعلى المودودي: آليف الدين الترابي، الكويت: دار الفلم، 1978م، ص365-368، [بتصرف يسير]..
9- مجلة آئين، ديسمبر، 72عام، ص114.
10- سنت كي آئيني حيثيت(مكانة السنة من حيث الشريعة): الأستاذ أبو الأعلى المودودي، إسلاميك فبليكيشنز، ط3، ص77.
11- مجمع الزوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي، (القاهرة: دار الريان للتراث، 1407هـ،) ج8، ص86
12- أخرجه مسلم في صحيحيه: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري دار إحياء التراث العربي ببيروت رقم2564، ج4، ص1987.
13- تفهيم القرآن: ج5، ص97-98.
14- تفهيم القرآن: ج5، ص95- 99.
15- أخرجه مسلم في صحيحيه: ج1، ص377.
16- أخرجه البخاري في صحيحه: رقم1324، ج1، ص468.
17- انظر: أبو الأعلى المودودي فكره ودعوته: أسعد الجيلاني، لاهور: الأكاديمية الإسلامية، 1972م، ص122-123.

18- البقرة: رقم التفهيم110.
19- البقرة: رقم التفهيم110.
20- انظر: أبو الأعلى المودودي حياته الفكرية: صودهري عبد الرحمن عبد، ص420-421.
21- انظر: سفر نامة أرض القرآن (الرحلة إلى أرض القرآن): عاصم الحداد، ت. م. ن ص29.
22- تفهيم القرآن: ج1، ص31-32.